اتقان الاصول ان لا يكون الخط على غاية التحرير فانهُ قلما اجتمع التحرير والبلاغة . واكثر من يكون صنع اليد يكون بليد الخاطر وخير الخطّ ما قُرئَ بمفاجأة اللمح وخير المعاني ما قُرع بمماسّة الفكر والتكلف في كل شيء مذموم والكيس مجموع مع الطبع ومضموم

الباب الرابع

في البلاغة وما يتصل بها

اعلم ان هذا الباب هو الذي عليهِ المعوّل في الكتابة وفيه تتفاوت اقدار الكتّاب وهو الذي فضّل الله به من آتاه من عباده فصل الخطاب والوقوف على كلام المتقدمين فيه يرهف الخاطر ويشحذه ويسدّد القول وينفذه . والبلاغة مجموعة في قسمين احدهما ان يكون اللفظ قليلاً وهو دالّ على معانٍ وهو اعلى القسمين واعظم ما وقع في هذا قوله سبحانهُ وتعالى « نحن اولياؤُكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم »

فجميع ما في الوجود يصح ان يكون داخلاً تحت قولهِ ما تشتهي انفسكم اذ لا شيء منهُ الا ويصح ان يكون مشتهى .

فهذه الكلمة وحدها كافية فيما اردناه غير ان ما قبلها وما بعدها قد اكتنفاها اكتنافاً لم يبقِ دخيلة لمن في دينهِ اضطراب ولا لمن في فهمه غميزة وذلك ان قوله نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة دليل عَلَى الاباحة ورفع المؤاخذة لان الوليّ كفيل والمكفول لا حرج عليهِ فيما اباحه الكفيل

وقوله في الحياة الدنيا اشارة الى تسديدهم الى قولهم ربنا الله واستقامتهم ولا بد من ذكر الآخرة التي عليها المعوّل . ثم قوله نُزُلاً من غفور رحيم بيّن بهِ سبحانهُ ان ذلك كرامة لهم لان النُزُل هو القرى وقوله غفور رحيم اشارة الى الصفتين اللتين لا اثر للذنوب معهما واذا رُفعت الاساءة لم يبقَ الاحسان وهذا شأوٌ بعيد لا يدرك ومنهج واضح لا يسلك وحسب البليغ ان يعرف قدره ان استطاع ان يعرفهُ وان يصرف عنان خاطره في التباعة له ان وُفق الى ان يصرفهُ

ثم قوله تعالى . ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تذكرون . فالكلام ايضاً تحتهُ شرح كثير وقد اتفق في كلام للعرب ما يشبه ذلك بعض الشبه وهو قولهم القتل أنفى للقتل ولكن اذا قيس هذا الكلام وان كان نقياً في بابه الى ذلك الكلام العزيز كان مسخاً وذلك ان قوله تعالى يا اولي الالباب

مهمّ عظيم في الانجاه بالخطاب الى من يعرف قدره لانهُ اذا قيل للجاهل قتلك او قتل اخيك يمنع من القتل او فيه حياة نفر منهُ واولو العقول الراجحة يقفون على المقصود من ذلك ولعل من يعلم هذا من عوامّ الناس انما يأخذه عنهم فهم اولى بان يكون الخطاب معهم .

ثم قوله تعالى ولكم ايجاب للمنة عليهم لان المخاطَب بهذا القول وان كان هو المقاد للقتل فقتله يمنع من يتطرّق بالقتل الى ولده واخيهِ فكأنَّهُ حياة له وهذا معنى دقيق جدًّا والقتل انفى للقتل لا ينتظم بهذا الا بتعسف ثم قوله لعلكم تتقون تتمة للبيان المقصود بإقامة القصاص وهذا واضح

وكذلك قوله تعالى في قصة ابني آدم لما قتل احدهما الآخر ظلماً : من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انهُ من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنَّما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنَّما احيا الناس جميعاً . والاشارة فيه الى ان الخلق كله نسلهم الباقي من ابني آدم كأنَّ المقتول قسيمهُ في الامر فكأنَّهُ الناس جميعاً . وهو كثير في الكتاب العزيز وهذا المقدار كافٍ فيما اردناه .

والقسم الثاني ان يكون الكلام منطبقاً على المعنى لايفضل

عنهُ وذلك كقوله تعالى اخباراً عن كتاب سليمان صلوات الله عليه الى بلقيس : انهُ من سليمان وانهُ بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا عليّ واتوني مسلمين . فجمع في هذا الكلام ما تراه من ذكر اسمهِ ومن الاتيان بالبسملة بكمالها بما فيها ومن نهيهم عن العلو عليه الذي تندرج تحتهُ المخالفة والتقاعد والمهاجة ثم استدعاءهم اليهِ بالتفويض والتسليم . وقيل ان المعنيّة بالخطاب بلقيس وانما خاطبها مخاطبة الجمع رعاية لمرتبة الملك على ما قدمناه آنفاً

وقوله تعالى : الم يجدك يتيماً فاوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى ثم عطف الذي بعد ذلك عليه فقال : فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربّك فحدّث فمنَّ عليه وأدَّبهُ في حق غيره بالامور التي أنعم عليه بها وهو كثير في كتاب الله وفي كلام الناس .

وهذان القسمان هما اللذان كان حذّاق الكتّاب واقفين عندهما ولذلك لم يتكلّفوا من السجع ولا من رعاية الالفاظ المصنوعة ما يخرجهم عن ذلك الا انهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم فاضطرّ الكتّاب البلغاء الى قسم ثالث وهو ان تكون الالفاظ نقية مسجوعة سجعاً خالياً فتكون الزيادة منها في حفارة رونقها وحسنها . وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك وصار

ذلك الاول وان كان هو للعرف كانهُ المتروك .

فاذا اتفق حصول ذينك القسمين في هذه الالفاظ النقية كان ذلك شاهداً بالتبريز الى غايات العلى والجمع بين محاسن الصور وزينة الحلى والعمل كله عَلَى ان تكون الالفاظ أهلية انسية ولا تكون وحشية ولا منسية . والتمكن من البلاغة لا يختلف عليه الحال في الالفاظ الخاصية ولا العامية بل هو في كانتا الحالين يعطي البلاغة حدها وحظها ويتوخى جزل الالفاظ ورقيقها ويتحامى غليظها وفظها وقد كتبتُ مرةً الى بعض الناس وكان يتبارى بالفاظه ويتباهى بمعارفه عَلَى طريق التهزّيء به

اما بعد فانك رجل من شذّاذ الدهماء[1] وسقاط السفلة[2] ورعاع الرعية[3] وهمج السواد . اشبه بالشاء والنعم من الاناسيّ وكأنك من الجنّان العفاريت لشوهة المنظر وشناعة الشنشنة[4] كان رأسك بيضة دجاج او قطعة من زبدٍ طامٍ قذفتها الى العبر يد الامواج . ليس للحجي فيها مستقرّ ولا للنهى بها مستودع

---

(١) الشذاذ اللفيف من الناس الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم والدهماء الجماعة

(٢) سقاط جمع ساقط بمعنى لئيم الحسب والسفلة جمع سافل بمعنى الساقط

(٣) رَعاع الرعية اوغاد الناس وكذلك الهمج

(٤) قباحة الخلق

وكريمتاك ان طحتا لعب بكوكبيهما الزَوَر[١] وان غمضتا طمسهما الجحظ[٢] ٠ اكبُّ المارن[٣] افط شاطي الصفحتين[٤] اكلح المتوسّم اقلح المتبسّم[٥] يتطنّأك الراي[٦] اذا تطاولت بالخيلاء ٠ تمتي من قعود وتهوي في صعود ٠ جعد الانامل[٧] مخشوشن البراجم[٨] دقيق الزند اقصر من الفوص القطاة باعاً[٩] واحرج من مجال الطرف ذراعاً واخفق من قصاصة[١٠] تناهبتها ايدي الرياح ٠ يامورا[١١] مشهوداً لك بخبث القرونة منظوقاً عنك بشؤم النقيبة تصبُّ

(١) الكوكب نقطة بيضاء في العين ٠ والزور ان ينظر الانسان بمؤخر عينيهِ

(٢) الجحظ خروج المقلة من العين او عظمها حتى تطمس اي تذهب

(٣) اكبُّ المارن اعوج الانف

(٤) الافطّ الافطس وشاطي الصفحتين اسفل الوجنتين

(٥) الاكلح الذي تقلصت شفتهُ عن اسنانهِ والاقلح الذي في اسنانهِ صفرة او خضرة

(٦) يتطناك الرآي يستحي ان ينظر اليك والخيلاء الكبرياء

(٧) جعد الانامل منقبضها كناية عن البخل

(٨) المخشوشن الخشن والبراجم رؤوس السلاميات من راس الكف مفردها برجمة

(٩) الافوص المجثم الذي تفحصهُ القطاة وتكشفهُ وتنحيه لتبيض فيهِ

(١٠) القصاصة ما يقص

(١١) اليامور الذكر من الابل والقرونة النفس وكذلك النقيبة

على العلية حسداً ان لا يضاهوك في التسافل وتتمنى زوال النعمة من ربها حتى يكافئك في الاسفاف . تقطّب في وجه القادم عليك كانما ذوب المحاجم[١] ما بين عينيك خوف المسألة والتصدي الى الاستجداء[٢] فاذا امنت من ذلك أُصحبت بالاستكانة والاستخذاء . لو أُطعمت بكفن وددت ان تسوّى بك الارض وتمنيتَ ان تكون عَلَى ظهرها لقىً او في بطنها عظماً رميماً عَلَى ما فيك من اللهج بالحياة مع المنقصة للتمتع بالشهوات والخوف من الموت لسوء الطوية[٣] . امنع من لبدتي ابي اشبال[٤] اكبّ بلبواته مساساً اذا استعطفتَ لمكرمة . والين من بطن الرقطاء[٥] اذا اجتذبت لمنقصة . مكاءً بكاء . هاعٌ لاعٌ تكاد تتحامى ظلال الافياء في حمّارة الهواجر[٦] خوفاً ان تكون انتخاساً تفجأك وتعاف الماء الزلال في شدة الظمأ توهماً ان النهر سيف أُخرط لك وان تجعده بالنسيم قطوب في وجهك . يتكاءدك[٧] حمل الهباءة اذا

---

(١) الدم الذائب في المحاجم

(٢) الالتجاء الى الاستعطاء والشحاذة

(٣) الطوية النية (٤) ابو الاشبال كنية الاسد

(٥) الرقطاء من اسماء الحية

(٦) الحمارة الحرّ والهواجر جمع هاجرة وهي نصف النهار

(٧) يشق عليك

حملت امراً . وبودك دفع القذاة عن مآقي عينك . فاي سجية اقبح من سجيتك وهي لك رضى واي خليقة اشنع من خليقتك وانت بها كَلِف . ولم ارد ذمك ولكن جعلت هذه الالفاظ مرايا لك تبرز لك مخبآت اوصافك من صقالها ورجوت وان كان بعيداً ان انشط بها همتك من عقالها .

ونعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر الا الوزن والشاعر المجيد يقدر عَلَى ان يكون كاتباً بليغاً والكاتب اذا لم يكن الشعر في طبعهِ لا يقدر ان يكون شاعراً . لان الشعر ما لم يكن في الطبع لا يكتسب بالممارسة . لان الوزن امر ذوقي لا سبيل الى ادراكه بالمعاناة ولو أُديم له الكدح والكدّ . وخير السجع ما توازنت فيهِ الالفاظ والتُزِم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الاخرى التي تطابقها في السجع

ولا بد من ذكر القاب السجع ليكون الكاتب منها عَلَى بينة ويستغني بهذا الكتاب في هذه الصناعة عن غيره لكونهِ لما يحتاج اليه فيها جامعاً . قال الحذّاق من اهل هذه الصناعة ان الكتابة هي حلُّ المنظوم من الشعر اذ معاني الشعر قد استخدمت لها الالفاظ كلها لعناية الناس بها فاذا كان الكاتب ماهراً نظر الى المعنى الذي يقصده من الاشعار فحلَّ نظامهُ وحلى به كلامهُ .

ولهذا قلنا ان نعوت الشعر كلها تصح ان تكون للنثر .

والسجع في كلام العرب هو دعاء الحمامة . يقال حمامة ساجع وسجوع اذا دعت دعاءً ترجّع اواخره عَلَى صيغةٍ واحدة وهو نوعان سجع حالٍ وسجع عاطل فالسجع الحالي كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور عَلَى زِنَةٍ واحدة تصلح ان تكون احداهما قافيةً امام صاحبتها كقولك . فلان لا تُدرك في المجد غايتهُ ولا تنسخ من الفضل آيتهُ . ويكفي في ذلك كلام رسول الله صلى الله عليهِ وسلم في تعويذ الحسن والحسين عليهما السلام : اعيذكما من الهامّة والسامة ومن كل عين لامّة [1] وكذلك قوله يرجعن مأزورات غير مأجورات وبمقدار ما تتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك . واما السجع العاطل فهو ان تقابل اللفظة اختها ولا تجمع بينهما القافية وكثير من الكتاب البلغاء يقصده لخلوه من التكلُّف وجريانه عَلَى سجية الكلام دون التصنُّع وهو اذا كان من القادر حسن واذا كان من العاجز قصور وهو كقوله : قلّ اهل الدين والامانة فالى من يُسكن ؟ وعَلَى من يُعوّل ؟ فقال يعوّل في قبالة يسكن فلو شاء قال فيما يظهر ويبطن او فيما يسرُّ ويعلن .

(١) الهامة واحدة الهوام واللامة العين المصيبة

فاذا كان الكاتب متمكناً من البلاغة عدّ ذلك منهُ تنزُّلاً وطلباً للاختصار واعتناءً بحصول المعنى الى المخاطب بالالفاظ النقية من غير التفات الى تصنيع السجع

والرجع ايضاً وهو الرد . تقول رجعتُ فلاناً عن كذا وكذا اذا رددتهُ . ومنهُ والسماء ذاتِ الرجع . وهو ايضاً نوعان مجتمع ومفرّق . فالمجتمع كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على صيغة واحدة في اللفظ والخط لا تخالف احداهما الاخرى الا باول الحروف ثم يعود ما في كل واحدة من الكلمتين في الاخرى بغير زيادة ولا نقص كقوله تعالى : ويل لكل هُمَزَة لُمَزَة[٢] . وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون . ومنهُ قول عليّ صلوات الله عليه الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقرّ . فخذوا من ممرّكم لمقرّكم . ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم . ومنه قول ابي عبادة

لانت معاطفهُ فخيّل انهُ للخيزران مناسب بعظامهِ

ان كنت تنكر ما اقول فجارهِ او بارهِ اوسامهِ اوهامهِ[٣]

والرجع المفرّق هو كل كلمتين جاءتا في الكلام

---

(١) الهمزة الرجل الذي يعيب الناس ومثله لمزة

(٢) الامر من باراه وساماه وهاماه للمغالبة بالمباراة والسمو والمعي

المنثور تضمّن احداهما من الحروف ما تضمنتهُ الاخرى بغير زيادة ولا نقصان الا انهُ عَلَى غير بنيةٍ ولا ترتيب كما كان في الرجع المجتمع . ولكن قد يتقدم بعض الحروف على بعض وهو من احسن اوضاع الكتابة . كقولك فلان أرفع القوم عماداً وأَفرعهم معاداً واصدقهم ميعاداً ومنهُ قول الشاعر .

شواجرُ أرماحٍ تقطّع بينهم شواجر ارحامٍ ملومٍ قطوعها[1]

والترصيع وهو مأخوذ من رصيعة اللجام وهي العقدة التي تكون عَلَى صدغ الفرس من الجانبين ولا يجوز ان تكون احدى العقدتين معقودتين والاخرى محلولة ولا ان تكون احداهما حالية والاخرى عاطلة وهو نوعان ترصيع حذو وترصيع لغوٍ فترصيع الحذو وافصحهُ قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ومنهُ قول النبي صلوات الله عليه : اياكم والمشارّة فانها تميت الغرّة وتحيي العرّة[1] . ومنهُ قول الشاعر

غُرَرٌ لكنهم عُرَرٌ ان مزجتَ الخُبر بالخَبرِ

واما ترصيع اللغو فهو كل كلمتين جاءتا في النثر عَلَى صورة واحدة في الخط لا يفرق بينهما الا بالشكل والنقط الا انهُ لا

---

(١) الشواجر جمع شاجر وشاجرة بمعنى القاطع

(١) العرة العيب وغرة كل شيءٍ ما يرفع قيمتهُ

يصلح ان تكون احداهما قبالة الاخرى قافية لاخلاف حرف الروي وهو مثل قوله اعجبني من نبل فلان شائمهُ ومن نيله سائمهُ وانا فيما فعاتهُ نابغ لا تابع وعائد لا عائذ وحابس لا خائس ومنهُ

ونقس دواته نفس فهما جرى نفث البلاغة في الكلام

والالمام وهو مصدر قولك ألمّ يلمُّ الماماً واللمم من الصغيرة والكبيرة من الذنوب وهو ان يلمّ الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبني عليها فصلاً ثم يتفق ان يستعمل كلمة اخرى اجنبية فينافر ما بين اللفظين وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاءً ويعيدها في اول الفصل الثاني وهو مثل قولك افاض الله عليك نعمهُ واضاف اليك قسمهُ. ومنهُ قرّف فلان بتكذيبه ففرّق بينهُ وبين محبوبه ويقال لاح لفلان سبيل رشده فحال بينهُ وبين ضدّه ومنهُ

جلّ عن مشبهٍ يساويه في م الفضل كما لجّ في اقتناء الفخار

والتوشيع وهو مصدر وشّع يوشّع توشيعاً وهو ان يُفتل الصوف او الكتان او غيرهما وتجعل سداً فتلك التسدية يقال لها الوشيعة تحتمل ان تلحم بلونين من اللحمة فصاعداً وهو ان يستعمل الكاتب في صدر كلامه كلمة يقتضي لفظها بمجرده في لغة العرب معنيين فصاعداً ثم يبني بعدها فصلاً ويأتي بعده

بالفصل الذي تقتضيه تلك الكلمة نحو قولك ان فلاناً يميل الى الخير واتيانه وعن الشر واستحسانه . ألا ترى ان لفظ يميل يحتمل ان يكون الى الشيء وعنهُ . ومنهُ اني اشكو اليك غدر الزمان ومنك جفوة الاخوان . ومنه

اشكو اليك والاَّ منك منتصفاً

ما ضاع عندك من سعي وما حبطا

والتتميم وهو مصدر تمّم يتمّم تتميماً اذا بلغ بالشيء غايتهُ وهو ان يأتي الكاتب في كلامهِ المنثور بكلمةٍ لام الفعل فيها حرف علة ثم يأتي بكلمة من بعدها لام الفعل فيها حرف صحيح يشبَّع للاعتماد عليه للاعراب فيحصل من ذلك تتميم اللفظ وتحصيل معنى تمّ به في تلك الكلمة الاولى التي أُتي بها في صدر كلامهِ وهو قولك فلان عالٍ عالمٍ وقاضٍ قاضب وغالٍ غالبٍ وغافلٍ غافلٍ . ومنهُ

يمدُّون من أَيدٍ عواصٍ عواصمٍ

تصول باسيافٍ قواضٍ قواضبِ

والتجنيس وهو مصدر جنَّس يجنّس تجنيساً اذا ماثل بين الحروف على اصل ما جاء به الاصمعي في كتاب الاجناس لا عَلَى حدّ ما جاءَ به اصحاب المنطق وهو ان يأتي الكاتب

بكلمتين تتضمّن احداهما من الحروف بعض ما في الاخرى كما قال ابن المعتزّ · رحنا اليك وقد راحت بنا الراحُ · وقُدّم اليه ندٌّ فلم يجد له رائحة فقال قد ندَّ هذا عن الندّ · ومنهُ

وقالوا حمامات فهُمَّ لقاؤُنا وطلحٌ فزرنا والمطيُّ طلوحُ

والمطابقة وهي ان تكون الكلمة طبقاً للاخرى وان كانت ضدها كقوله تعالى وانهُ هو اضحك وابكى وانه هو أمات واحيا وفي الشعر ·

لا تعجبي يا مي من رجلٍ ضحك المشيب برأسهِ فبكى

والجزالة والسهولة وهذان النوعان من محاسن الكتابة فان الكاتب الكيّس يطلب احدهما فان وجد فيه المقصود وكان الكلام له فيه منقاداً والاَّ طلب الاخر واكثر المطبوعين يميلون الى النوع الثاني وهو لعمري حقيق بالميل اليه لبعدهِ من الكلفة · فالاول ان شئت لقانا (١) فالقنا (٢) في القنا (٣) فان اسيافنا تشرئب (٤) الى شرب الدماء كما تشرئب الى الماء خواطر النفوس الظماء · وتحبُّ ان تخبَّ (٥) بنا الجياد في الهيجاء (٦) كما

(١) مصدر لقي (٢) فعل امرٍ (٣) جمع قناة وهي الرمح
(٤) مضارع اشرأبَّ اذا رفع راسهُ للشرب
(٥) يقال خبَّ الفرس اذا راوح بين يديهِ ورجليهِ في مشيهِ او مشى خبباً (٦) الحرب

يخبّ[1] اسان المجلجج في الهجاء . فالغمرة[2] الخمرة . والعجاجة[3] الزجاجة ونحن شَرْبها وندمانها . وغيرنا قتيلها وسكرانها .

والثاني انت يا اخي وفّقك الله اودُّ الى قلبي من الماء الزلال عند العطش . واحبُّ الى ناظري من السفور عند الغبش . ولو اوتيتُ مطالبي لم افارقك طرفة عين . ولم اطالب الانام من بعدك بثار ولا من قربك بدين . وقلبك شهيد دعواي . وضميرك سمير نجواي . فما احدّثك عن محنتي الا بما انت به عليم . ولا احدث بك من الشغف الا ما هو عندك قديم . فصموتي اعراب . واعراضي اقبال على الثقة لا اضراب . وكثيراً ما يقع الناس في هذين النوعين في الجهسامة ويحسبونها من النوع الاول وفي الركاكة ويحسبونها من النوع الثاني فالاول في الشعر كثير لا يحصى ومنهُ قول حبيب

خذي عبرات عينك عن زماعي ... وصوني ما أزلتِ من القناعِ
أقلّي قد أضاق بكاكِ ذرعي ... وما ضاقت بنازلةٍ ذراعي
أآلفة النحيب كم افتراقٍ ... أطلّ فكان داعية اجتماعِ

والثاني قليل في الاشعار الا المحسنين الكبار وهو

تمتّعْ من شميم عرارِ نجدٍ ... فما بعد العشية من عرار

---

(١) يضطرب (٢) الشدة (٣) الغبار كناية عن الحرب

والحلّ والنظم وهما حلُّ المنظوم ونظم المحلول ويخرج منهُ الاستشهاد بالبيت الشعر عَلَى المعنى من الكلام المنثور فكأنّ هذا نظم لذاك وكأن ذاك حلّ لهذا لان الاستشهاد بالبيت في مكانه من احسن الاشياء في الكتابة · وحُكيَ عن الرشيد انه قال ما ادري هل التفاح خمر انعقدت اما الخمرة تفاح انحلت فنظمه بعض الشعراء فقال

أترى التفاح خمراً جمدت ام ترى الخمرة تفاحاً أذيبا
كلما ابصرتُ هاتيك وهذا في كلا الوصفين شاهدت عجيبا

وهو كثير اذا استقصي

والانصراف وهو ان تبتدئ المخاطبة بهاء الكناية ثم تصرف الى المخاطبة بالكاف وهذا يحتمل اذا كان الامر مما تكتبه مهماً دون غيره · واما في الشعر فهو شائع عَلَى كل وجه وكثير ومثاله ان يقال كان العبد قد انهى الى المجلس من حال فلان ما اعجزه انتهاؤُه كما اعجزه انقطاعه وانتهاؤُه · ثم يقول ونشأَ يا سيدنا ابقاك الله امره كذا وكذا · ثم يعود بعد ذلك الى الاحالة عَلَى الهاء دون الكاف · وقد قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة · وفي الشعر ·

حلّت بارض الزائرين فاصبحت عسراً عليّ طلابك ابنةَ مخرم

والتكرير وهو ان يأتي بثلاث او اربع كلمات موزونات ثم يختم باخرى تكون القافية اما على وزنهنّ او خارجةً عنهنّ مثل ان يقال لا زال عالي المنار حامي الذمار · عزيز الجار · هامي النعم · وافي المجد · نامي الحمد · جديد الجد · وافر القسم ·

او تكرّر اللفظة الواحدة مثل ان يقال باسم الايام · باسم الاياتي باسم الخِدام · ماضي الامر ماضي العزم ماضي الحسام ·

او تكرّر الفاظ بمعنى واحد مثل ان يقال لمّ الشعث ورأب الثأي وسد الخلل وتعديل الميل · وفي الشعر

كأن المدام وصوب الغمام ونشر الخزامى وريح القُطُرّ

والهدم وهو ان تذكر انساناً بصفةٍ في كلامك ثم تنقضها بكلمة من جنسها مثاله فلان سبط الخلائق الا انهُ جعد الانامل مرفوع الحجاب الا انهُ محجوب النائل · وفي الشعر

قد يرفع المرءُ اللئيم حجابهُ ضعةً ودون العرف منهُ حجابُ

والفكّ وهو ان ينفصل الكلام الاول من الكلام الثاني بحرف استثناء وغيره ومثاله ووالله ما حقدتُ عليه بل حقدتُ عَلَى نفسي كيف اوقعتني في صحبة مثلهِ جهالة · ولا مللته عَلَى اني لا أَدم مع مثله الملالة · وفي الشعر

حيّ الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيّرها الارواح والديمُ

والتعديل وهو ان تكون اللفظة التي هي السجعة الثانية مركبة من كلمتين حتى تساوي اختها ومثاله شكر الله تفضله ولا زالت ختوم المحامد تفض له وفي الشعر

وان اقرّ على رَقٍّ انامله أقرّ بالرّق كتّاب الانام له

الابتداء والختم وهو ان يجعل الدعاء في الكتاب دالاً على المقصود به وكذلك عند الختم ايضاً يكون مرتبطاً به فانهُ من محاسن الكتابة ومثاله اذا شفع لا زال كفهُ منصباً الى وساوس الامال · ويده صبةً الى صيّب النوال وقرّةً لعينه كل سؤال ·

والإشراف وهو ان ينظر الى القافية فيُشرف عليها بخاطره ويبني الامر عليها فان ذلك اهون عليه فيما يكتبهُ ولا يدور على القافية فيطول عليه الكلام فكأنها وان كانت اخر الكلام مبتداه في النفس وهو قول بعضهم اول الفكرة اخر العمل ·

والاشارة وهي من محاسن الكتابة[1]

. . . . . .

الامر الذي شرع فيه و يبعد العهد بالكلام الاول و بما يعود عليه وهو عيب في الكتابة ومثاله وانا على ما عندي من الموالاة وان كنت قد حصل لي من الاذى ما يصدع الصخر الاصمّ فقد

(١) سقطت ورقة هنا من اصل الكتاب ولهذا ترى الكلام مقطوعاً

تمّ عليّ ما عظم وما طمّ . وما ظننت انك ترضى بذلك وتصبر عليه وتُنضي . وتداهن خصمي به وترضي صابر عَلَى البأساء محتسب مع الاذى . فقوله صابر عَلَى البأساء خبر قوله وانا عَلَى ما عندي . وما بين ذلك من الكلام قد تشعب المقصود حتى كاد الاول ينسى وهو في الشعر محتمل . ومنهُ

وكنت عَلَى اني مع الحب مصحبٌ زماني وملقٍ للغرام زمامي
يهزُّ فؤادي كل برقٍ يلوح لي ويومي ويطفي بالسحاب أُوامي
اعلّل قلبي بالاماني تسليًا فحال نحولي دونها وسقامي

والرشاقة وهي ان يستشهد الكاتب البليغ بالامثال العامية والكلمات الحوشية فتندمج في كلامهِ ويكون لها حسن في مكانها . ومثاله وصلني كتابك فاجتليتُ من سطوره نفائس الدرر . وعرائس الفكر . فتبادرتهُ همتي ناشطة . وكنتُ له لنفسي ماشطة . ما وقفت منهُ عَلَى لفظة الا وقلت زاه زاه . وألممت بها بالقبل كما يفعل بلمى الشفاه . فلي عند كل لفظة منهُ انتهار المفترس . وقرار المفترش . وخمرة النشوان ونفضة المنتعش .

وفي الشعر

هبك تجافيت فاقصيتني تقدر ان تخرج من قلبي

والالتجاء وهو ان يضطرّ الكاتب الى ان يأتي بلفظة

غير مستعملة في الذي هو بصدده فيقيمها مقام المستعملة . ومثاله فما المعشاق عدمت سلوّها والمقلات[1] فقدت فلوّها الاّ دون ما انا عليهِ من الوجد به والغرام . فاستعمل فلوّها في مكان ولدها حتى قابل بها سلوّها وهو محتمل وربما كان جيداً . وفي الشعر

ليبككَ الشربُ والمدامة والاخوان طرًّا وطامعٌ طمعا
وذات هدم بادٍ نواشزها تصمت بالماء تولباً جدِعا[2]

والاعتراض وهو ان يذكر قضيةً ثم يحاشيهِ منها ومثاله وخشيت ان يمرّ في ظن سيدنا وحاشاه ان الامر كذا فيعجّل بالمؤاخذة وهو ابسط من ذلك علماً . واوسع حلماً . وفي الشعر

حسبتُك تجفوني بما قال حاسدي
وحاشاك بل غير الجفا منك اليقُ

ومنهُ نوع آخر على طريق المزح او طريق التفاؤُل ومثاله والناس كلهم ابناء الدنيا واخلاقهم حاشى سيدنا اخلاقها فما يراد منهم الوفاء . ولا يردّ منهم الجفاء . وفي الشعر قول المتنبي

ونحتقر الدنيا احتقار مجرّبٍ يرى كل مافيها وحاشاكَ فانيا

---

(١) المقلات الامرأة التي لايعيش لها ولد

(٢) الهدم الثوب البالي والنواشر الاعصاب في الذراع . والتولب ولد الحمار استعمله هنا للظبي

ومنهُ نوع اخر وهو حسن ومثاله وجدت من الالم وعافاك الله كذا وكذا وكيف انكر ان تتنكّر عليَّ الايام . وتتوالى عَلَى جسمي الالام . وقد اربيت على الستين ضاعفها الله لك عدداً . وجعلك بالذكر الجميل بعد العمر الطويل مخلّداً . وفي الشعر

ان الثمانين وبُلّغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

والجحد وهو ان تنكر شيئاً لا تتحقق فيه الانكار بل هو عَلَى حكم المبالغة مثاله وقلبي قلق لما بلغني من تألّمك ولا والله ما لي بقلبي منذ بلغني ذلك عهد . وعندي من الالم ما لا استطيع التعبير عنه ولا والله ما اعرف الالم بعدم الاحساس بالحال التي احدثها عندي الوجد . وفي الشعر

يقولون لو سليتَ قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوبُ

والتفسير وهو ان يكون في صدر الكلام جملة يفسّرها ما بعده ومثاله قول الله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيهِ ولتبتغوا من فضله . ومنه قد جعلت لك عيني وقلبي حرساً وسكناً . ومع ذلك فما اجد عليك شيئاً عندي موئتمناً . وفي الشعر .

فوأدي وطرفي سجنهُ ورقيبهُ وأحسبهُ باللمح في الناس يذهبُ

وللناس فيما يعشقون مذاهبٌ ولي كلّ يوم فيه بالحسن مذهبُ

والمقابلة وهي ان يتساوى اللفظان في الكلام المضبوط بالسجعتين ويكون الثاني ضدّ الاوّل مع التكافيء في اللفظ ومثاله · اتيتُ اليه منبسطاً بالأمل وانثنيتُ عنك منقبضاً باليأس · وفي الشعر

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

والموازنة وهو ان تتوازن الالفاظ وتكون السجعة رابعة ومثاله وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه · ويقرع الاسماع بزواجر وعظه · وهو لايخلو من الكلفة واذا زاد على هذا العدد كان اكثر · واحسن ما يكون في الخطب

والاستخدام وهو ان تكون الكلمة تقتضي معنيين فتُستخدَم فيهما جميعا ومثاله انا على عهدك الذي تعلمهُ لم احلّ من امرك عقداً · ولا مكاناً آنس منك فيه فقداً · فقد استعمل احلّ للمعنيين · ومثله انت في قلبي مالي عنك ولا لغيرك قلب · فقلب مستخدمة لقوله لي ولقوله عنك · وفي الشعر

وسقى الغضا والساكنيه انهم شبُّوه بين جوارحٍ وقلوب (١)

---

(١) الغضا وادٍ مشهور في نجد يكثر فيهِ شجر الغضا المشهور بصلابتهِ فان الشاعر استخدم الاسم الظاهر للدلالة على المكان والضمير في شبوه اي اوقدوه للدلالة على الشجر

والاستطراد وهو ان يكون في قضية فيخرج منها الى اخرى و يفيد بذلك الخروج معنى من مدح او ذم · ومثاله ادام الله سعادة الحضرة حتى يوجد لها سبب في الفضائل · وحتى يقلع فلان عما فيه من الرذائل وفي قلبي من حرّ الشوق اليها ما يقمع ذكرها منه موقع الماء الزلال · وفي حشاي من الوجد بها ما في صدر فلان من الغيظ عند التماس النوال · وفي الشعر

ونحن أُناس لا نرى القتل سُبّةً اذا ما رأَتهُ عامرٌ وسلولُ
يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ

والتقسيم وهو ان تقول والناس في ذلك على فرق فمنهم من يقول كذا · ومنهم من يظنّ كذا · ومنهم من يغالط فيما يقوله · ويوهم فيما يظنهُ · وفي الشعر ·

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق لا يمين الله ما ندري

والتعليق وهو ان يعلّق معنىً بمعنى فيعلّق المدح بالمدح والهجو بالهجو · ومثاله وانت ابداً تردُّ على قولي حتى كأني الومك فيما طُبعت عليه من النوال · او اسومك ان تكون وانت من سادات الكرام من البخال · وفي الشعر

الى كم تردّ الرسل فيما أتوا به كأنهمُ فيما وبتَ ملامُ

والعكس وهو ان يؤتى بالكلام وعكسه وكلاهما مفيد

كقوله تعالى يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ . ومنهُ ولا خير في السرَف إلاّ انهُ لاسرف في الخير . فالاكثار منه مستحسن والإحسان فيه غير مستكثر . وفي الشعر في فرس

ولئن أهنتُ النفس في اكرامها فبها اليَ الاكرام وهي تهانُ

والترديد وهو ان تردّ آخر الكلام على اوّله ومثاله وسيدنا سريع الى من يحدّثه الى الخير . متقاعد عن الانحدار الى الشر غير سريع مريع الجانب للاوي اليه والواشي منيع غير سريع . وفي الشعر .

سريع الى ابن العمّ يجبر كسره وليس الى داعي الخنى بسريع

والاستعارة وهي ان يستعار المحسوس للمعقول وموقعها آثر في النفوس من الحقيقة كقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وقوله تعالى سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تتميّز من الغيظ . واشتعل الرأس شيباً . وهو في الشعر كثير ومن احسنه

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهارُ

والاحتراس وهو ان يأتي الكاتب بدعاءٍ او كلام تكون فيه عاقبة سوء فيحترس منها ومثاله ابقى الله سيدنا طويلاً عمره غير منكّد ولا مرذول . وسببهُ مبرم غير محلول . وحدّهُ

ماضٍ غير مفلول · وفي الشعر

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

والتورية وهي ان تكون اللفظة تحتمل معنيين او الكلام فيؤخذ بأظهرهما والمراد الآخر وانما وُرّي بالظاهر عنهُ ومثاله هو من قلبه في حسكهف وودّه فيهِ رقيم · وكلما نظر نظرة في بدر وجههِ قال اني سقيم · وفي الشعر

ياعاشقيهِ تمتّعوا بعذاره من قبل ان يأتي السواد الاعظمُ[1]

الباب الخامس

في الفاظ يقوم بعضها مقام بعض لا يستغني عنها الكاتب

قد كان بعض الملوك يوماً ينظر كتاباً كُتب عنهُ وقد قيل فيه ويجري فيه على العادة · فقال للكاتب غيّر هذه اللفظة فاني رأيت الناس لا يخرجون عنها · فسكت ولم يخرج جواباً وكان ذلك سبباً لنقص مكانتهُ عنده · وهذه الاجوبة اذا لم تأتِ في وقتها لم يغنِ الاتيان بها بعد ذلك ولو جاءت احسن مايكون · ولو قال مكان ذلك يُحمل على العرف ولا يخرج بهِ عن المعهود ولا يُعدل به عن المستمر لاتى بالمقصود

(١) الكلام هنا مقطوع لسقوط ورقة من الاصل